

المهاجرة غير الشرعية بين القطيعة وإعادة الرابطة الاجتماعي مع المجتمع الأصلي

Illegal immigrants between rupture

and social reconnection with the original community

د. كيم صبيحة*

كلية العلوم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر

تاريخ إرسال المقال: 2019/05/10 تاريخ القبول: 2019/08/22 تاريخ النشر: 2020/02/16

الملخص : تطرقنا بورقنا هذه إلى ظاهرة الهجرة غير الشرعية التي يشهدها المجتمع الجزائري منذ سنوات التسعينات. أما في الوقت الراهن انضمت النساء كتشكيلة جديدة مبرزة انتشار ثقافة الرغبة بالهجرة غير الشرعية إلى كافة فئات المجتمع، تحت ظروف اقتصادية واجتماعية صعبة. وبناء على نتائج دراسة ميدانية قمنا بها والتي سنحاول عرضها بهذا المقال، توصلنا إلى أن قرار الهجرة غير الشرعية يتم تحت تأثير قطيعة تعيشها المبحوثات مع أسرهن ومجتمعهم بحكم مكانتهن الاجتماعية غير المعترف بها، كمطلقة وعانس وأم عازبة. وفي المقابل عملت على إعادة تشكيل الرابطة الاجتماعية مع المجتمع الأصل، بعد تواجدها ببلد الهجرة باستخدام استراتيجيات مختلفة.

كلمات مفتاحية: الهجرة غير الشرعية؛ النساء؛ الرابط الاجتماعي؛ القطيعة؛ إستراتيجيات.

Abstract (English):

The phenomenon of illegal immigration is known in the Algerian society since the 1990s. At present, women have joined as a new group, highlighting the spread of the culture of the desire for illegal immigration to all segments of society under difficult economic and social conditions. Based on the results of a field study we conducted and which we will try to present in this article, We concluded that the decision of illegal immigration is under the influence of a rupture experienced by the respondents with her family and society because of its social status is not recognized Divorced and single and single mother. On the other hand, she reshaped the social association with the community of origin, after her presence in the country of immigration using different strategies. Keywords: Illegal immigration; women; social link; rupture; strategies.

* - الباحث المرسل kimesabiha@yahoo.fr.

مقدمة:

أصبحت ظاهرة الهجرة غير الشرعية جزءاً من ثقافة مجتمعتنا، حيث يصفها رمضان محمد على أنها ظاهرة اجتماعية عرفها المجتمع الجزائري كباقي مجتمعات العالم الثالث، حيث أصبحت هذه تسجل حضورها ضمن الثقافة الجزائرية المعاصرة، ولا يمكننا حصر "ثقافة الحرقة"¹ في عامل أساسي واحد؛ والذي هو "ثقافة الرغبة في الهجرة"، بل الظروف الاقتصادية الصعبة والصراعات السياسية وكذا تأزم المحيط الاجتماعي، كل هذه الدوافع تسمح بتفسير سبب تواجد الهجرة في بعض المناطق دون غيرها، فالمجتمعات التي تعيش نفس الظروف وقريبة من مناطق العبور، لا تفسر ذهاب بعض الأفراد وبقاء الأغلبية، إنما الإجابة على هذه الأسئلة أن هذه المناطق تندمج في إطار "مناطق محضرة للهجرة"²، مثل المناطق الساحلية؛ حيث أنها من أهم مناطق العبور لتسهيل الهجرة، لهذا تبرز لديهم ثقافة الهجرة والعلاقات المزدوجة التي تربط كل من الأسر بالمهاجرين، فمثلاً لا تخلو أية عائلة جزائرية من تواجد أحد أفرادها على الأقل بالمهجر خاصة الأوروبي، وهذا ما نلاحظه عند عودة الجالية الجزائرية في موسم الاصطياف بالمدن الجزائرية لقضاء العطلة.

وإننا هنا نريد من خلال ورقتنا مناقشة الرابط الاجتماعي؛ المتمثل في الأسرة الجزائرية كمجتمع أصلي وعلاقتها بالهجرة غير الشرعية، أي علاقة المهاجرين غير الشرعيين مع أسرهم في المجتمع الأصلي الذي هاجروا منه، من هنا نود تركيز الدراسة على الرابط الذي يصل المهاجرين بأسرهم، هل هو موجود حقاً؟ أم أنه تفكك وتلاشي؟ وإن كان موجوداً فما درجة قوته وضعفه؟ وسيتضح هذا من خلال الدراسة التي قمنا بها مع المهاجرات غير الشرعيات؛ كما وجدنا أن غياب الفرد يتشكل في إطار الهجرة كغلطة حسب السوسيولوجي عبد المالك صياد³؛ والتي بالإمكان تداركها وتصحيحها، وهذا ينطبق على الحراقات اللاتي غادرن البلاد وتعرضن للوصم ولحاكمة اجتماعية بصدد القطيعة. فهل لظاهرة الهجرة غير الشرعية النسوية دور في خلق القطيعة الاجتماعية وبالتالي ضعف الرابط الاجتماعي بين حالات الدراسة وأسرهن وحتى مع مجتمعهن الأصلي ككل؟

¹ - رمضان محمد، الهجرة السرية في المجتمع الجزائري، أبعادها وعلاقتها بالاغتراب الاجتماعي، مجلة المواقف، للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 04، جامعة معسكر، الجزائر، ديسمبر 2009، ص: 195.

² - Lydie, Virginie, *Traversée interdite, les Harragas face à l'Europe forteresse*, L'Édition le Passager Clandestin, Paris, 2011, p : 47.

³ - Sayad, Abdelmalek, *L'immigration ou les paradoxes de l'altérité-l'illusion du provisoire*, édition raisons d'agir, Paris, 2014, p: 154.

رغم القطيعة التي تحدثها ظاهرة الهجرة عموما والهجرة غير الشرعية خصوصا، تسعى حالات الدراسة لاسترجاع الرابط الاجتماعي مع عائلاتهم ومجتمعهم بشتى الطرق التي ترى أنها تناسب مع تقاليد الهجرة، مثل المساعدات المالية والهدايا، والرفع من قيمتها الاجتماعية بمجتمعها الأصلي، من خلال حصولها على الوثائق كمهاجرة شرعية، يعني هذا أن المهاجرات لا يستطعن الانفصال عن مجتمعهم الأم كليا وإنما يلجأن إليه من حين لآخر، وهذا ما سنوضحه في هذا المقال.

1. المقاربة المنهجية وتقنياتها:

إن طبيعة ظاهرة الهجرة غير الشرعية في المجتمع الجزائري تفرض علينا الإلمام بجميع الجوانب التي تمدنا بمعلومات كثيرة وتساعدنا على الوصول إلى خلفيات هذه الظاهرة، فالمنهج الكيفي المتمثل في دراسة الحالة كان ملائما مع استعمالنا لتقنية المقابلة، لأن السيرة تكشف عن السلوك الاجتماعي للفرد ومدى تأثره بالعوامل المحيطة به، مع إعادة بناء مساره الاجتماعي من خلال سردهن لمختلف مراحل حياتهن، والملاحظة: لترجمة السلوكيات المختلفة التي تمارسها الفاعلات. تم استجواب خمس (05) حالات (الإناث فقط) باستعمال تقنية المقابلة، بفضل العينة القصدية. الحراقات اللائي قمنا باستجوابهن تنحدرن من مختلف مناطق غرب الجزائر (وهران، عين تموشنت، تلمسان) وكل حالة منفصلة عن الأخرى. إذ حاولنا دراسة ظاهرة الهجرة النسوية السرية من خلال التركيز على مجال الانطلاق والذي يطلق عليه البلد الأصل الجزائر. يتراوح سن حالات الدراسة ما بين 22 إلى 38 سنة، وتعددت الحالة الاجتماعية للحراقات بين المطلقة والعانس والعازبة. كان مستواهن الدراسي يختلف من الابتدائي إلى الجامعي كما كن ينحدرن من مناطق حضرية، وكن يزاولن مهن قبل هجرتهن، فمهن الموظفات والحرفيات والخادمة في المنازل، والمبينة بالجدول رقم 01، الذي يوضح خصائص عينة الدراسة:

حالات الدراسة	السن عند القيام بالهجرة	المستوى الدراسي/ المهنة	الحالة الاجتماعية	منطقة الإقامة/ نوع السكن	عدد محاولات الهجرة غير الشرعية
الأولى	22	جامعية/بدون عمل	عازبة	حضري/شقة	01
الثانية	24	جامعية/بدون عمل	عازبة	حضري/حوش	01
الثالثة	28	ابتدائي/ربة بيت	متزوجة	حضري/شقة	01
الرابعة	32	جامعية/موظفة ببنك	عازبة	حضري/فيلا	02
الخامسة	38	ثانوي/حلاقة	مطلقة	حضري/حوش	01

2- دراسات سابقة:

اعتمدنا في هذا البحث على مراجع متعددة، تمحورت حول الهجرة النسوية، الهجرة غير الشرعية، الرابطة الاجتماعية، وكلها تتشكل في سياق الدراسات السوسيولوجية التي نعتبرها داعم علمي أساسي لفهم الظاهرة المدروسة. بالإضافة إلى قيامنا بالدراسة الميدانية لنقل الصورة الواقعية لمعاش حالات الدراسة وتحديد خصوصياتهن.

في البداية تم التركيز على الدراسات التي عرفت نقلة نوعية لتطور مجال البحث في الهجرة النسوية، كدراسة ميرجانية موروكفاك¹ التي استعانت بنموذج الهجرة الذكورية وربطها بالهجرة النسوية، وإبراز دور العوامل غير الاقتصادية (nons-économiques) التي تؤثر على قرار الهجرة، وتحديد خصوصية تلك المهاجرات التي تصل إلى بلدان الاستقبال. في نفس السياق قامت قيليرمو فرانسواز² بإخراج المهاجرة من عدم مرئيتها، بفكرة إتباعها لزوجها كتحليل وحيد لتيار الهجرة النسوية وعدم الاعتراف بالهجرة النسوية الفردية في الكثير من المجتمعات بسبب الهيمنة الذكورية.

فكل الدراسات التي تم فحصها وتوظيفها بهذا المقال، حاولت المساهمة في إلقاء الضوء لوجود المرأة كفاعلة لهجرتها بتحديث المجال العلمي حول تيارات الهجرة النسوية بمنطقة البحر الأبيض المتوسط، وهي تعد كمرجع مهم للدراسات الحالية في مجال الهجرة النسوية الذي يبقى في رأينا غير مواكب لسرعة التحولات التي تشهدها ظاهرة الهجرة النسوية العابرة للحدود.

3. مفاهيم البحث:

1.3. الهجرة غير الشرعية: يقصد بالمعنى العام للهجرة غير الشرعية، التسلل عبر الحدود البرية والبحرية والإقامة بدولة أخرى بدون تأشيرة السفر وقد تكون الهجرة في أساسها قانونية وتتحوّل فيما بعد إلى غير قانونية وهو ما يعرف بالإقامة غير الشرعية³. أما كمفهوم اجتماعي عرفت الهجرة غير الشرعية بظاهرة "الحَرْقَة" (باللهجة العامية) في الجزائر، وهي حرق الوثائق الرسمية عند إقبال الشباب والشابات على الهجرة غير الشرعية عبر القوارب وأيضا خرق قوانين السفر

¹ - Mirjana Morokvasic, L'immigration féminine en France : état de la question, *Année Sociologique*, Presses Universitaires de France, XXVI, 1976, pp.563-575.

² - Guillemant, Françoise, *Stratégies des femmes en migration : pratiques et pensées minoritaires repenser les marges au centre*, Thèse de Doctorat, Sociologie et Sciences Sociales, Université de Toulouse II, 2007, p: 491.

³ - رمضان محمد، سبق ذكره، ص: 193.

والحدود التي تمنعهم من محاولة الوصول إلى أوروبا، فهم يتمردون على القانون. توحى "الحَرْقَة" أيضا كدلالة رمزية، خلفية خطورة الموت جراء ما يتعرض له الحَرْقَة الذين يضعون أنفسهم في هذه المغامرة.

2.3. الرابط الاجتماعي: تطرق العديد من علماء الاجتماع إلى مفهوم الرابط الاجتماعي بمصطلحات لها نفس المضمون، بداية من إبن خلدون بـ "الروابط القبلية"، وماكس فيبر بـ "التفاعل الاجتماعي"، وإميل دروكايم بـ "التضامن الاجتماعي"، وهوبز ولوك بـ "العقد الاجتماعي"، وغيرهم. أما مفهوم الرابط الاجتماعي بالمجتمعات الحديثة كما جاء به جورج سيمل¹ المتمثل بتعدد إنتماءات الفرد للجماعات الاجتماعية مما يؤدي إلى تشكيل روابط اجتماعية مختلفة تتعدى الأسرة، الشارع والمهنة والوطن والطبقة الاجتماعية، فهو يبحث دوماً إلى جماعات جديدة تجعله ينفرد عن أعضاء جماعته الأولية، فيطلق عليه "فرد العلاقات" *"l'être de liaison"*.

يوحي هذا المفهوم الحديث للرابط الاجتماعي إلى استمرارية الفرد للبحث عنه بالمجتمعات الأخرى، ومدى تماسك وتلاشي هذا الرابط بالمجتمع الأصلي وهو موضوع دراستنا. فتصبح الهجرة بكل أنواعها المعلنة أو السرية وأن المسافة والبعد المكاني بين أعضاء الأسرة والأقارب يُعد من أهم الأسباب التي أدت إلى ضعف الروابط الاجتماعية داخل المجتمع، وقيس هذا الضعف من خلال معدلات التزاور وتبادل الزيارات وغيرها من مظاهر علاقات القرابة المتينة، فالفرد عندما يهاجر عن مجتمعه الأصلي تقل الزيارات رغم وجود الاتصال الهاتفي، وهذا يوضح على وجود رابط اجتماعي بينه وبين أسرته كجماعة أولية إلا أنه رابط ضعيف يحتاج لعناصر أخرى لتقويته². هذا ما سنحاول التأكد منه خلال بحثنا وتحديد مدى قوة هذا الرابط بين حالات الدراسة والمجتمع الأصلي.

4. الهجرة النسوية الجزائرية نحو نماذج متعددة:

اقتسمت الإنطلاقة الفعلية للهجرة النسوية بالجزائر بفضل قانون تجمع العائلي سنة 1976، فبدأ توافد أعضاء أسر المهاجرين الجزائريين المقيمين بفرنسا (الزوجة والأطفال) وهو يعيد لم شمل الأسر في إطار الهجرة. هذا ما فتح الباب أمام إنتقال المرأة للضفة الأخرى التي تميزت بصفتها المرافقة، أي مرافقة للرجل الذي كان يتمثل في الوالد أو الأخ أو الزوج، وكانت تقوم بدورها التربوي

¹ -Simmel Georg, *Sociologie, études sur les formes de la socialisation*, Paris, Puf, coll, 1999, p : 414.

² - كرابية، أمينة، طبيعة الرابطة الاجتماعية في المجتمع الحضري-دراسة سوسيوأنتروبولوجية لرابطة القرابة بالسانية ولاية وهران، رسالة لنيل الدكتوراه علوم في علم الاجتماع، جامعة محمد بن أحمد - وهران 2، الجزائر، 2017، ص: 245.

والعائلي فقط، حيث تعمل على المحافظة للقيم والمعايير الاجتماعية للبلد الأصل داخل أسرتها بالمهجر. إلا أن الحراك الدولي للهجرة النسوية تأثر بالكثير من التحولات السوسيو ثقافية التي عرفتها مكانة المرأة في المجتمع الجزائري كتمدرس الأنثى وانضمامها لمجالات مهنية مختلفة وتحملها مسؤولية أسرتها والتي قلبت موازين المجتمع. فأصبحت هذه المهاجرة فاعلة حقيقية لقرار هجرتها والتي تتمثل بـ "الهجرة الفردية للمرأة"، والتي إتخذت وجهات جديدة نحو بلدان عديدة فلم تقتصر على الوجهة التاريخية لدول البحر الأبيض المتوسط كفرنسا، بل توسعت مساحة حراكها لمسارات جديدة ونحو بلدان جديدة كتركيا وأندونيسيا والصين والإمارات العربية المتحدة.

تشكل أيضا تطور الهجرة النسوية بإقتحام النساء لنماذج مختلفة للهجرة والتي لقت رواجا بمنطقة البحر الأبيض المتوسط، وهي الهجرة غير الشرعية التي مست النساء بمختلف أعمارهم وفئاتهم الاجتماعية، والتي انصدم بها المجتمع الجزائري بتصريح الجرائد والقنوات التلفزيونية عن موت الحراقات، إذ تتعرض تلك الفاعلات لمخاطر هذه المغامرة وموت البعض منهن غرقا بالبحر. بهذا الصدد أعلنت الرابطة الدولية للدفاع عن حقوق الإنسان ما يقارب 186 امرأة تم القبض عليهن من طرف شرطة السواحل بقوارب المقلبين على الهجرة غير الشرعية في سنة 2017¹. فإنتلاقا من هذا أصبحت تتشكل ظاهرة الهجرة النسوية غير الشرعية كظاهرة جديدة بالمجتمع الجزائري مقارنة بالدراسات التي تعرضت لظاهرة الهجرة غير الشرعية الذكورية.

5. قرار الهجرة غير الشرعية كرمز للقطيعة الاجتماعية :

تعرف القطيعة لغة على أنها الهجران والصد ومنه ترك البر والإحسان إلى الأهل والأقارب². وإجرائيا نقصد بها الهجرة والابتعاد عن الأهل والمجتمع الأصلي للمهاجر، فقرار الهجرة غير الشرعية يجمع بين مفاهيم مختلفة حسب ما صرحت به حالات الدراسة "باغيا نُعيش" (أريد العيش) "نُحوسُ على الهُنا" (أبحث عن السعادة)، ترمز هذه المصطلحات إلى البحث عن مجتمع تتوفر فيه شروط حياة مناسبة لهن، وهذا ما قد يجدهن عندما يذهبن إلى البلدان الأوروبية، وقد لا يجدهن؛ فمنهن من ترى أنه يوجد احترام للفرد خاصة مكانة المرأة، وتقدير مساعدات مختلفة من مؤسسات وجمعيات ومستشفيات، وملاجئ. فالقطيعة الاجتماعية يمكن النظر لها من هذه الزاوية كنوع من التحرر³، الذي يساعد المبحوثات على بناء هوية جديدة بعيدا عن الرابطة الدموية أو القرابية.

¹- Yazid Alilat, El harga haram, mais à toujours ses adepts, Le Quotidien d'Oran, 30/01/2018.

²- معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، الطبعة: 04، 2004، ص: 555.

³- Paugam, Serge, *Le lien social*, Paris, PUF, coll. Que sais-je ?, 2008, p: 155.

يصف جوليانو دولوراس¹ وضعية هذه الفئة من النساء التي تجعل المرأة ضحية بسبب القيم ذات الخاصية الأبوية والذكورية وهي كثيرة مثل: الأمهات العازبات، الثائرات على القيم والمعايير العائلية أو المحلية، المرأة المرفوضة أو المخدوعة، ضحية الاستغلال داخل العائلة.

الحالة الرابعة-32 سنة هي مثال مناسب للهجرة غير الشرعية، هربت من المجتمع الذي لا يعطيها مكانا بفعل طلاقها، رغم أنها عانت من تركها لأطفالها وعملها وأسرتها، هذا لم يمنحها من القيام بها، «نَسْتَحْمَلُ الْجُوعَ وَشُومًا وَمَا نَسْتَحْمَلُشْ نَعِيشْ فِي بِلَادْ كُلِّ وَاحِدْ يَحْكَمْ فِيْنَا، الْعَقْلِيَّاتْ بُقَاتْ مُبْعَلَا يَتَّبِعُوا غَيْرَ فِي مَرَّا» (أتحمل الجوع والبطالة ولا أعيش في هذا البلد، الكل يسيطر على المرأة، إذ لم تتغير الذهنيات التقليدية حيث تكون الغاية في ترصد المرأة).

رغم الظروف الاقتصادية المزرية التي تعيشها الحالة الأولى بإسبانيا إلا أنها وجدت أشياء كثيرة لا تتح في الوطن، لا تزال الصورة السلبية تلتصق بالمرأة المطلقة ومراقبة تحركاتها مما دفعها للذهاب إلى إسبانيا، فلا تتوقف وسائل الإعلام عن نقل صورة راقية للمرأة الأوروبية وما تتمتع به من مزايا اجتماعية وقانونية وتخلصها منذ زمن طويل من المعايير المقيدة لذاتها، فنجد أن هذه الصورة تتحول إلى عامل جذب يساهم باتخاذ قرار الكثير من النساء للهجرة غير الشرعية. «فِي سَبَانِيَا كَامَلِ النِّسَا عِنْدَهَا قِيمَا مَا يُفَرِّقُوشْ مَا بَيْنَ لَمُطْلَقَا وَهَجَالَة مَعَ لَمُتْرُوجَا، وَرَاجِلْ مَا يُحَمِّشْ بَاشْ يَضُرُّهَا، يَخَافُوا مِنْ حَبْسْ» (في إسبانيا لا يفرقون بين مكانة كل من المتزوجة، المطلقة، العازبة، ولا يستطيع الرجل أن يعنف المرأة لأنه يخاف من عقوبة السجن)، لا يهم مكانة المرأة الاجتماعية، المهم هو حصولها على حقوق من خلال القوانين الصارمة التي تحميها من كل أشكال العنف، في البلدان الأوروبية.

الهجرة غير الشرعية النسوية أصبح مشروع حياة تقوم به الفاعلة أمام وضعية صعبة تجد نفسها مهمشة من جرائها، والتي تؤدي إلى قطيعة بمحيطها ثم بمجتمعها، والإحساس بعدم القبول من خلال مكانتها التي تختلف من حالة إلى أخرى. تقودنا الفكرة السابقة إلى اعتماد بوقام سارج² لبعده الاعتراف لفهم الرابط الاجتماعي، فهو أساس وجود الفرد الاجتماعي، ونجد أن حالات الدراسة تعاني من عدم اعتراف المجتمع لهن. حيث يعكس اندماج الفرد ويمنحه قبولاً بأعين الآخرين.

¹-Dolores, Julian, Les nouveaux modèles de la recherche et de la migration des femmes, **Journal d'Anthropologie Sociale**, Numéro spécial, 1999, p: 32.

²- Paugam, Serge, op cit, p :109.

نستخلص أن استمرار اعتراف المجتمع بالصورة التقليدية للمرأة وهي الزوجة، لقيامها بالدور الاجتماعي الأساسي وهي الأم القائمة على حماية أسرتها، أمام صعوبة تحقيق ذلك لمكانة اجتماعية مغايرة.

نشير أيضا إلى تجاوز المرأة للمعايير الجندرية، كحملها خارج إطار الزواج الشرعي، يدفعها لقرار الهجرة غير الشرعية، خوفا من تعرضها للعنف وإرغامها على التخلي عن طفلها وحتى رفضها من عائلتها، الحالة الثانية-24 سنة تشكل قرار الهجرة غير الشرعية عندها بسبب وقوع حملها غير الشرعي، والهروب من الفضيحة والعار والمشاكل الاجتماعية التي ستواجهها إن بقيت، وكذا المشاكل القانونية لإثبات نسب طفلها، فهي متيقنة بالرفض الذي وقع عليها من العائلة والمجتمع ولم يبقَ لها خيار أمام عدم امتثالها للنظام الذكوري المفروض في المجتمع. قيود الامتثال للنظام الجندري تعتبره المرأة عائقا لتحقيق ذاتها¹، لكن المبحوثات لا تقبل أن يكون هذا حاجزا أمام مستقبلهن. لاعتبار هذا أحد العوامل المشجعة والدافعة للذهاب والهجرة غير الشرعية.

نستطيع ربط حالات الدراسة بالوضعية الاجتماعية التي تعيشها كل مبحوثة ببلدها الأصل والتي تتمثل في الرفض الاجتماعي لمكانتها، مما يخلق قطيعة على مختلف المستويات، ويدفع المبحوثة إلى اتخاذ قرار الهجرة غير الشرعية وبناء مشروعها بالهروب من مجتمع وبنياته والضغط الذي تتعرض له المبحوثات اللاتي لا يستطعن مواجهته بالبقاء، فيبحثن عن مجتمع جديد لتشكيل رابطة جديدة بفضل الهجرة غير الشرعية. وهنا ترى الباحثة مندوزا ميريان² أن المرأة تحت تأثير الضغط الاجتماعي تحتاج إلى قطيعة مع مجتمعها بالبحث عن مجتمع آخر، أين ترى أن المرأة لها مكانة اجتماعية مهمة تمكنها من أن تصبح مستقلة ذاتيا.

لا تختلف الحالة الأولى-22 سنة عن حالي الدراسة المذكورة سالفا، فقررت هي أيضا الذهاب مع صديقها بعد فقدانها لعذريتها، وأمام صعوبة ارتباطها به في هذه الظروف، حيث معارضة ورفض الوسط الاجتماعي لهذا النوع من العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج أدى بهما إلى الإقبال على الحرق، فهو هروب من المجتمع رفضا للامتثال لتقاليده وأعرافه بالذهاب إلى مجتمع يقبل بهذه العلاقات ويؤمن بها. « حَتَّى وَاحِدَ مَا غَادِي يَفْهَمُنَا بِلِي نُحَبِّهِ وَيَحْبِنِي، غَادِي يَقُولُوا بِلِي دَرْنَا لَحَرَامْ، عَائِلَتِي وَعَائِلَتَهُ مَا يَقْبَلُونَا، نَحْرَقُوا لَسْبَانِيَا بَاشْ نَتْرُوجُوا وَنُعِيشُوا هَانِيَيْنْ بُعِيدَ عَلَى الْمَشَاكِلْ »

¹ - Dolores, Julian, op cit, p: 491.

²-Mendoza, Myrian Carbajal, Actrices de l'ombre, La réappropriation identitaire des femmes latino américaines sans papiers, Thèse de doctorat, Faculté des Lettres, l'Université de Fribourg, Suisse, 2004, p: 138.

(لا أحد سيتفهم حبنا، سيقولون أننا ارتكبنا فعلا محرما مما سيؤدي إلى رفض عائلتنا لهذه العلاقة، سنذهب إلى إسبانيا لنتزوج ونعيش بعيدا عن المشاكل).

من خلال الحالة الخامسة -38 سنة تشخص لنا الضغط الاجتماعي الذي تتعرض له المرأة في وسطها الاجتماعي ففي المنطقة التي تسكن بها المبحوثة الكل يعرفها، لا تستطيع الدخول أو الخروج إلا والأنظار تلاحقها والموضوع المفضل لديهم هو الزواج، « يَعْرِفُوا يَهْدُرُو غَيْرَ عَلَى النَّاسِ لِي تَزُوجَ وَلِي طَلَّقَ وَلِي خُطِبَ، يَحْوَسُوا غَلَاةَ مَا تَزُوجُتْشِ زَانِي كَبُرَتْ بِلَا زَوَاجٍ » (تنتقل أخبار الحياة الشخصية بين الناس كالزواج والطلاق والخطبة، حتى أصبحوا يسألوني لماذا لم أتزوج ؟ كبرت بدون زواج).

قرار الهجرة يأخذ شكلا آخر من خلال حالة الثالثة -28 سنة، التي كانت هجرتها السرية جراء تعرضها للعنف الزوجي، وبسبب عجزها عن إثبات أساليب التعنيف التي تتعرض لها من قبل زوجها للعدالة. « كَانْ يَضْرِبْنِي وَيَسْبِنِي، بَصَحْ كَامَلْ نَاسْ جَاتْ مَعَاهُ، عُرِفْ يَخْدَعُهُمْ وَيَبَيِّنْ بِلِي أَنَا قَبِيحَة وَمَا نَسْمَعُشْ كَلَامَهُ » (كان زوجي يضربني ويسبني، والكل يتضامن معه، فهو يخادعهم بحجة أنني غير مطيعة كسبب لممارسته العنف) إذن هذه المبحوثة أصبحت الزوجة الغير المطيعة بسبب رفضها المعاملة السيئة من طرف زوجها وكذلك ضعف الإطار القانوني لحماية المرأة المعنفة جعلتها أكثر عرضة من السابق إلى مكانة المتهمة بعيان الزوج، فقد اعتبرتهم أسبابا كافية لهجرتها من الوطن.

إذا تعد الصورة السلبية التي التصقت بحالات الدراسة، كلهن يشتركن في حملهن عبء المكانة والالام التي يتعرضن لها في حياتهن اليومية، لقيمتهم المتدنية في المجتمع. فالمكانة الاجتماعية للمرأة غير مقبولة في المجتمع الجزائري، مما يشكل حسب قيومو فرانسواز¹ عاملا لإحداث القطيعة الاجتماعية الذي ينطبق على حالة المرأة التي ليس لها مشكل مادي كبير. ويجد فورجي بارنار² أن قرار الذهاب للبحث عن الهدوء وحياة أفضل مع تحقيق مستوى اجتماعي لائق، الذي لا يظهر فيه الرابط العائلي أو فكرة المساعدة المادية للعائلة في البلد الأصل وجمع رأس المال المادي كما هو ظاهر في مشروع الهجرة الاقتصادي، بل ولا تحدد فيه مدة الهجرة وقرار العودة غائب تماما. وهنا نلاحظ أن المبحوثات المهاجرات يتعرضن إلى قطيعة متتالية كما بينها بوقام سارج

¹-Guillemant, Françoise, op cit, p: 410.

²-Forget, Bernard, **Los clandestinos mode d'emploi**, Cahiers migrations 31, Edition ACADEMIA, Paris, 2004, p: 79.

بسبب فشل متتالي للفرد، يبدأ بفشل دراسي، ثم بطالة، ويستمر بانفصال أو طلاق. بالنسبة لحالات الدراسة بالفشل الذي تعرضن له هو عدم القدرة على المحافظة على مكانة المتزوجة أو عدم الالتحاق بمؤسسة الزواج، أو الزواج خارج الإطار الرسمي، ثم الفشل بالمحافظة على الرابطة مع الأهل والأقارب، ثم الرابطة الاجتماعية أي مع المجتمع ككل¹.
القطيعة تجبر حالات الدراسة على الهجرة غير الشرعية، وكأنهن يهاجرن رغما عنهن من المجتمع الجزائري نحو المجتمع المهاجر إليه.

6. كتمان مشروع الهجرة غير الشرعية عند حالات الدراسة :

التمسنا في هذه الدراسة بروز قوة العلاقات الاجتماعية التي تربط المبحوثات بجيرانهن وأقاربهن، وكذلك الأصدقاء، فخلفية هذه الرابطة تظهر في شكل أسرهن حيث يغلب عليها الطابع المحافظ والمتشدد لأن حالات الدراسة لا يدلن بقرار الهجرة غير الشرعية لأسرهن خوفا من منعهن، وتأكدهن من رفض هذا السلوك رغم أن هذا النوع من الهجرة مقبول ثقافيا بالنسبة للذكر²، ويشجع على القيام به لكي يقلد البطولة والرجولة. فالأسرة ليس لها نفس الدور في الهجرة، فبعض المقبلين يخبرون أوليائهم، إخوانهم وأخواتهم بمشروع الهجرة، والآخرين يقدمون عليه بكل سرية، والبعض الآخر يخبر بعض الأشخاص فقط. في الواقع، المقبلات لا يصرحن للأشخاص الذين يمنعهن من تحقيق مشروعهن وتبوح للآخرين بسرهن³. هذا ما لاحظناه في حالة الرابعة -32 سنة، التي واجهت ردة الفعل السلبية من طرف أسرتهما جراء خوضها للهجرة غير الشرعية في المحاولة الأولى، أما عند تكرارها الحزقة للمرة الثانية وعدم إعلانها بذهابها للعائلة، كانت ردة الفعل قاسية جدا حيث قاطعتها نهائيا، وتحولت إلى أم غير مسئولة بسبب ترك أطفالها. وعدم إعلانها هذا يؤكد يقينها برفض أسرتهما لهذا النوع من الهجرة المعروف بالحزقة.

¹ - Paugam, Serge, op cit, p:164.

² - كيم، صبيحة، ثقافة الهجرة السرية في المجتمع الجزائري: بين استحواذ الشباب واقتحام الشابات، مجلة الحوار الثقافي، العدد: 9، جامعة عبد الحميد ابن باديس، مستغانم، الجزائر، ربيع وصيف 2016، ص: 175.

³ - Carnet, Pauline, Passer et quitter la frontière, Les migrants africains « clandestins » à la frontière sud Espagnole, Thèse de doctorat, D'Anthropologie sociale, l'Université de Toulouse Le Mirail, France, Septembre 2011, p: 173.

تشير ساكو بابا وبننتو ديال فاتو¹ في دراستهما أن طابع ظاهرة الهجرة غير الشرعية النسوية في السنغال يحمل مكانة الظاهرة الهامشية، والمهاجرات يتحولن إلى منكرات من طرف الآخرين (المحيط الاجتماعي) وبفعل هذا الإنكار الذي يتعرضن له، فهن يقبلن بشكل صعب بالإفصاح على كونهن مهاجرات غير شرعيات.

في أغلب الحالات، هؤلاء النساء ذهبن بطريقة خفية ولم يخبرن أعضاء عائلتهن برغبتهم في الهجرة غير الشرعية من خلال القوارب، فالخوف من الإعلان عن القيام بالهجرة غير الشرعية بالنسبة لحالات الدراسة بسبب ارتباط صورة الهجرة غير الشرعية النسوية بالمرأة غير المحترمة، العاهرة مثلا، المتمردة والعاصية، التي تريد التحرر من قيود الرجل الذي يمنعها من ارتكاب الخطيئة، فمعرفة حالات الدراسة لهذه القيمة الهابطة التي ستمنحها لها كل من الأسرة والمقربين والمجتمع يجعلها تفضل القيام بمشروع الهجرة بكل سرية لكن عند نجاحها يتم العكس.

مازالت ظاهرة الهجرة النسوية الفردية ترتبط بصورة المرأة الخارقة للمعايير الاجتماعية، والمرفوضة في بعض العائلات الجزائرية بالنسبة للمرأة مهما كانت مكانتها (عازية، مطلقة، أرملة)، وإذا صادقت وسمحت العائلة لانضمام الفاعلة لنظام الهجرة غير الشرعي، فهي أيضا تتخذ عدم الإعلان عن هذه الهجرة خوفا من وصم العائلة.

الحالة الثالثة-28 سنة قررت عدم إعلان هجرتها للأقارب والجيران لخوضها الهجرة غير الشرعية رغم ذهابها مع أخيها، ففشلها وعودتها إلى البلد الأصل جنبها الوصم الذي حتما ستتعرض له، لتجاوزها تقاليد جماعة الانتماء وتوليد القيل والقال عنها، « مَرْيَا رُحْتُ وَمَا قُلْتُ لِحَتِي وَاحِدْ، خَاطَرْتُ رَاهُمْ دَايِرِينَ بِلِي حَرَاقَاتْ هُوَمَا النِّسَا الْخَامَجَاتْ، هَاذُو نَاسْ مَا نَسْلَكُشْ مَهْمُ » (لحسن حظي أنني ذهبت بدون إخبار أحد، فالمهاجرات يحملن صورة المرأة الفاسدة في المجتمع الجزائري). في حالات نادرة العائلة التي تساعد في تمويل الجانب المادي لمشروع الهجرة، تتعرض إلى فشل الفاعلة، فتحس بخيبة الأمل والعار، فيعتبر تمويل هجرة الأولاد الذكور عبارة عن استثمار مهم للكثير من الأولياء. وأيضا أعضاء آخرون من العائلة (إخوان، خالات، أعمام...)، والذين يساهمون بمبالغ هامة. النساء اللواتي يستفدن بهذا الدعم من العائلة من أجل الذهاب، هن واعيات بهذه

¹ Sakho, Papa, Binetou, Dial Fatou, Migration clandestine féminine, étude de cas de Dakar et sa banlieue, n° 56, CARIM, 2010, p : 17. Date de consultation : 03/03/2018, à 16h.

http://cadmus.eui.eu/bitstream/handle/1814/14629/CARIM_AS_N_2010_56.pdf?sequence=1

المسؤولية والرهان الذي على عاتقهن¹. فهنا نلتمس قوة الرابطة الاجتماعية التي تجمع كل من الحالة الخامسة بأسرتها، فتدعيم أسرتها ومرافقة أخيها يشكل صورة من صور التضامن الاجتماعي كشرط من شروط تحقيق الرابطة الأسرية بالمجتمع. حيث أشارت كرابية أمينة² على أن التضامن الاجتماعي، يعتبر ضروريا لضمان البقاء والاستمرار في الحياة الاجتماعية، سواء كان تضامنا فعليا من خلال تقسيم العمل الاجتماعي، كما بينه دوركايم أو معنويا في المناسبات والمآتم وغيرها، بين الأفراد الذين تربطهم روابط اجتماعية، كالقربة الدموية والجيرة والأصدقاء.

انطلاقا من دراستنا نجد أن مرافقة الحالة الأولى -22 سنة والخامسة -38 سنة أحد أعضاء الأسرة الذكور، الأخ أو الصديق المرافق، الذي يمثل المحرم بالمفهوم الديني يمنحها الحماية الاجتماعية وأيضا يمثل المسئول الأول عن قرار وتنفيذ المشروع، والفاعلة تصبح المرافقة فقط.

جل حالات الدراسة (04 من 05 حالات) أعلنت عن مشروع الهجرة غير الشرعية في حيز ضيق إذ لم يتعدى الأصدقاء، وهذا لتفهمهم دوافعهم وتقبلهم مشروعاتهم، وأيضا لتعويض الرابطة الأسرية برابطة الصداقة بعد القطيعة التي تشكلت بكتمان مشروعاتهم عن الأسرة. فتم بناء هذه الصداقة على أساس الثقة، كما تعرفها كلير بيدار³، أن الصداقة تركز في معناها على الثقة، والتي تجتمع في كل من الصراحة، الجدية والأمانة والتضامن وغياب الغيرة، فالثقة تظهر على أنها هي القاعدة التي تبني على أساسها علاقة الصداقة.

الصداقة هي علاقة اجتماعية ذات المدى الطويل تتحول إلى علاقة روحية نتيجة للتبادل العاطفي وتشابه وتجانس في الأفكار والسلوكيات⁴. رغم القطيعة التي تعيشها حالات الدراسة مع أسرهن ثم مع مجتمعهم، يبقى تمسكهم للرابطة الاجتماعية المتمثلة بالأصدقاء، لأهمية هذه العلاقة الاجتماعية في تحقيق التضامن الاجتماعي بتقديمهم الدعم المادي والمعنوي لإنجاح مشروعاتهم للهجرة غير الشرعية. في هذا الصدد تأكل الرابطة الاجتماعية للفرد، تمكنه للبحث عن انتماءات جديدة، وضروب مبتكرة من التضامن يعتمد عليها ملجأ شخصيا لمواجهة تهايوي ضروب التضامن التقليدي⁵.

¹ - Ibid, p: 18.

² - كرابية، أمينة، سبق ذكره، ص: 47.

³ - Bidart, Claire, *L'amitié Un lien social*, La Découverte, Paris, 1997, p: 20.

⁴ - أبو مصلح، عدنان، معجم علم الاجتماع، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2006، ص: 347.

⁵ - غربالي، فؤاد، سوسيولوجيا المعاناة من خلال المعاش اليومي لشباب الأحياء الشعبية، مجلة عمران، العلوم الاجتماعية والإنسانية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد: 16، المجلد: 04، لبنان، ربيع 2016، ص: 21.

7. إعادة تشكيل الرابط الاجتماعي مع المجتمع الأصلي :

يعتبر الرابط الاجتماعي إجرائيا الصلة أو العلاقة الرابطة بين المهاجرين والمجتمع الأصلي، سواءً عن طريق رباط أسري أو رباط قرابي أو جيري بين الجيران وأهل الحي الذي تنتهي إليه المبحوثات، ويشير عبد المالك صباد¹ إلى الانتقادات التي يوجهها أفراد المجتمع للمهاجر بسبب ذهابه وتركه للجماعة كخيانة فهو "غياب غير مشروع"، ومن أجل العودة يجب أن يتسلح المهاجر بالأشياء التي اتفق عليها اجتماعيا بالمجتمع الأصلي.

رغم اضطراب العلاقات الداخلية التي تعيشها حالات الدراسة داخل أسرهن والمجتمع عموما، هو الذي ينتج عنه القطيعة بذهابها ولكن بعد وصولها إلى الضفة الأخرى، ينتاب الفاعلات إحساسٌ بالغربة والاشتياق للعائلة وللوطن، فتسعى إلى إعادة تشكيل الرابطة الاجتماعية من خلال استراتيجيات مختلفة.

استخدمت الفاعلات المساعدات المادية كأهم وسيلة لتمتين علاقتها بوسطها الأسري. يعتبر الرابط الأسري من أقوى الروابط الاجتماعي بين البشر، لأن الفرد أول ما يولد يجد نفسه مرتبطا بأسرته، وابتعاد الفرد عنها يتطلب قوة وشجاعة كبيرة نظرا للعاطفة الفطرية اتجاه الأهل ولهذا وجدنا من خلال الدراسة أن المهاجرات غير الشرعيات مهما كانت الظروف أقوى منهن، مما يفرض عليهن الهجرة؛ إلا أنهن يقمن بالمستحيل -ولو بعد زمن- لإعادة تشكيل الرابط الاجتماعي الأسري مع العمل على تمثينه وتقويته باستعمال عدة وسائل، منها المساعدات المادية أو النفقات المالية. ويتناول الباحث شارف محمد² في هذا السياق الصورة الاجتماعية للمساعدات المادية للمهاجر بالعلاقة التي تربط المهاجر بمجتمعه الأصلي على أنها عميقة وحساسة، في نفس الوقت يتساءل كيف يتم إصدار حكم على المهاجر وهو غير مقيم في جماعته؟ ليجد أن إرسال المساعدات المادية أصبح معيارا يتم القياس به، فالمال يتشكل في سلطة المهاجر ويخلق الشعور بالغيرة والرغبة في الذهاب بالنسبة للأفراد الباقين في البلد الأصل. إذ يقاس نجاح المهاجر في وسط جماعة انتماؤه بالمال الذي يكتسبه وبالطريقة التي ينفق بها ذلك المال في بلده الأصل وإظهاره؛ بالاحتفالات الفخمة عند رجوعه، والهدايا التي تعتبر إجبارية عند قدومه، وفي المقابل يصبح هذا المهاجر "قَالُصُوا" مزيفا و"جَائِح" فاشلا إذا لم يمارس تلك الأعراف التي ترتبط بالهجرة.

¹ - Sayad, Abdelmalek, op cit, p: 171.

²-Charef, Mohammed, *La circulation migratoire marocaine, un pont entre deux rives*, édition Sud Contact, paris, 1999, p : 41.

في المقابل تشير عراب شادية¹ إلى انقلاب وضعية الصراع العائلي حول مشروع الهجرة، الذي سرعان ما يتحول إلى علاقة مترابطة، بفضل عائد هذه الهجرة (إرسال الهدايا والنقود) الذي يساعد في تحسين شروط الحياة لأفراد الأسرة الباقية في بلد الأصل، ترميم البيت أو بناء بيت جديد، وفي بعض الحالات افتتاح متجر صغير.

رغم انتقال المهاجرين إلى مجتمع آخر يستمر انتمائه للبنية الأسرية الأساسية وتصبح للمهاجر (رجلا أو امرأة) كجماعة مرجعية في بلده الأصل، حيث يلعب دورا اجتماعيا مهما بواسطة هذه الرابطة والتي لا تنقطع برغبة من الجماعة أو الأسرة المهاجرة. يحقق مساره الشخصي مع إبقاء عرفانه ووفائه لأسرته بالقيام بواجباته اتجاهها والتي تدفعه للمحافظة على علاقة تضامن ومساعدة في بلده الأصل.

تقوم الحالة الخامسة-38 سنة بتوفير مبلغ مالي لمصاريفها المختلفة، ونصيب منه ترسله إلى أسرته في البلد الأصل، « كي يديت نرسل ذراهم لدارنا صالحويني بعد عام ماكانوش يهدروا مَعَايَا، ولأو يَسْقِسُو عَلَيَا » (في بداية إرسالي للنقود إلى أسرتي سرعان ما تغير الوضع بعد سنة من انقطاع العلاقة، فبدؤوا يسألون عن أحوالي). المساعدة التي تقدمها للأسرة غيرت من وضعيتها المهاجرة، فالآن يسألون عنها ويريدون أن تزورهم ويتباهون بها عند الأقارب وحتى الأب يفكر في مشروع تجاري (إقامة محل لبيع المواد الغذائية). المهاجرة غير الشرعية تساعد أسرتها الباقية في البلد الأصل وهذا بتعدد عملها في إسبانيا، وفي الكثير من الحالات عليها إيجاد الطرق لتحمل مسؤولية إعالة كل أسرتها رغما عنها رغم بروز ثقافة أن يكون الرجل هو رب الأسرة، فهي تحتل مكانة جديدة داخل أسرتها، فقبل ذهابها كانت "هي الغير مرغوب فيها" و"المبعدة"² واحتلالها مكانة جانبية في الأسرة باعتبارها فاشلة وعديمة القدرة؛ ذلك أنها لم تستطع بناء حياة باحترامها للتقاليد، وألحقت الخزي لعائلتها وأفراد بلدها، والآن بعد هجرتها، هي محبوبة، ومقدرة فقد استطاعت أن تنجح في أخذ مكانة مركزية في دائرة العائلة وحتى أنه يتم استشارتها في اتخاذ القرارات الهامة التي تتعلق بها. إن أسرة الحالة الرابعة-38 سنة قد غيرت أولوية مشروع الزواج بالنسبة لها، فالمهم هو الحصول على وضعية مالية جيدة لابنتهم في بلد الاستقبال والأصل.

¹-Arab, Chadia, Emergence de circulations migratoires féminines des marocaines vers de nouvelles destinations – l'Espagne et les émirats arabes unis, *Revue NAQD*, Femmes en migration : travail, business, exil, asile, n° 28, Algérie, automne-hiver 2010, p : 194-195.

²-Arab, Chadia, Les Aït Ayad : la circulation migratoire des Marocains entre la France, l'Espagne et l'Italie, Rennes, Presses Universitaires de Rennes, Paris, 2009, p: 207.

أثار انتباه عبد المالك صياد¹ هذه الممارسات في دراسته للهجرة الجزائرية، حيث منحها مصطلح "المهاجر-البنكي" "émigré-banquier" (إشارة للتعاملات النقدية في تلك المرحلة -الدينار والفرنك)، فالنتيجة غير المنتظرة من الهجرة هي إعطاء المهاجر فرصة وإمداده بالوسائل الاجتماعية للرفق والتي يتحصل عليها خارج المعايير الاجتماعية المعترف بها، بل تتحقق تحت نظام اجتماعي، اقتصادي، سياسي، ثقافي، ولغوي، مغاير تماما وخارج الصراع الداخلي للنظام الوطني، والتي يعتبرها المحليون "بالحيلة الاجتماعية للهجرة". وجود هذه الحيلة التي ذكرها عبد المالك صياد في ظاهرة الهجرة، كانت العامل الأساسي في عودة وبناء روابط جديدة لحالات الدراسة مع أسرهن وجماعتهن المحلية.

وقد يتعدى الرابط الاجتماعي الأسري ليصل إلى مستوى الفضاء الاجتماعي، كالحي، فحسب تصريحات الحالة الأولى-22 سنة، أن عند رجوعها مع زوجها إلى بلد الأصل، أرادت أن تترك بصمتها عند أهالي حي الحمري (حي شعبي بمدينة وهران)، من جيران وأصدقاء، لاسترجاع مكانة أحسن عن التي كانت تحملها، فجلبت معها الكثير من الهدايا، لتوزيعها على الأقارب والجيران. «مَا حَبِيتْشْ نُؤْلِي لِبَلَاذْ بَلَا مَا نُجِيبْ لِدَاوْنَا كَاوْنَا، حَتَّى الْقَامِيلِيَا وَالْجَوَارِينْ خَمَمْتُ فِيْهُمْ» (لم أرد العودة إلى بلدي بدون جلب الهدايا إلى الأسرة، حتى العائلة والجيران لم أنسهم)، رجوع فتيحة كان لا بد أن يكون بطريقة تليق بالمهاجرة التي نجحت في مشروعها والتي استطاعت الحصول على الوثائق، فرموز النجاح تتمثل في الهدايا. والتي تلعب دورا كبيرا في توطيد الرابط الاجتماعي مع المجتمع الأصلي.

الحالة الرابعة-32 سنة لا تختلف عن الأخريات، فهي مرغمة على شراء هدايا لأطفالها عند الذهاب لزيارتهم في المناسبات الدينية أو العطل الصيفية لتعويض الفراغ الذي تركته بسبب هجرتها وتجديد علاقتها بهم، « كِي تَتَكَلَّمْ مَعَ أَوْلَادِي وَيَقُولُولِي مَامَا جِبِيلْنَا، مَا نَقْدَرْشْ نُرْوَحْ لِبَلَاذْ وَمَاعْنَدِي وَالْو كُو نَصِيبْ مَا نَشْرَبْ مَانَاكُلْ وَنُجِيبْ حَاجَة لِأَوْلَادِي » (عندما أتحدث مع أطفالي ويطلبون مني جلب الهدايا لا أستطيع العودة للوطن بدون تلبية رغباتهم ولو تطلب الأمر عدم الأكل والشرب)، كل ما تفعله الفاعلات، وما تهدفن إليه هو إعادة الرابط في مجتمعهن والحصول على مكانة أفضل، لكن بشروط تندرج تحت التجربة الجديدة. فالحركية والنشاط التجاري أصبح وسيلة لاسترجاع مكانة اجتماعية مسلوقة، فهن تبتعدن للحصول في مكان آخر على ما جحد به المجتمع عليهن غير أن إعادة الاستثمار الرمزي والاعتراف هي أمور لا يمكن إنجازها إلا في مجتمع الانتماء.

¹ - Sayad, Abdelmalek, op cit, p: 166.

تبقى إعادة تشكيل الرابط الاجتماعي من الأمور المستحيلة، في كل من الحالة الثالثة والثانية لرفض الأسرة التواصل بهن بعد القيام بالهجرة غير الشرعية وأيضاً لعدم رغبتهم في العودة للبلد الأصل نهائياً، وهذا ما صرحت به الحالة الثانية- 24 سنة، « مَانْعَاؤْدْشُ نَرْجَعُ لِبْنَاذْ، زَانِي غَايَا قَسْبَانِيَا وَمَا عِنْدِي مَا نُدِيرُ بَدَارْتْنَا» (لن أعود إلى بلدي، فأنا بحال جيدة في إسبانيا، ولا أحتاج إلى أسرتي). فتعمل المهاجرات غير الشرعيات في هذه الوضعية على بناء روابط اجتماعية جديدة ببلد الهجرة وتقرر الإقامة الدائمة به وبداية حياة جديدة تاركة وراءها ماضيها ببلدها الأصل.

خاتمة:

في الواقع حالات الدراسة يصرحن بأنهن يهاجرن من أجل الهروب من الظروف الاجتماعية والحياتية القاسية، بينما هذا لا يشكل السبب الرئيسي بل هن بدأت البحث عن حياة جديدة مغايرة وبالطريقة التي ترينها مناسبة، بسبب طلاقها أو حملها غير الشرعي أو عنوستها أو... في المقابل يرفضها وينعتها المجتمع بالعصيان والتمرد، مما يحدث قطيعة بينها وبين أسرتها أولاً ثم مجتمعها، فهي تقرر خوض الهجرة غير الشرعية للانتقال إلى مجتمع جديد يوافق ويؤيد الحياة الجديدة والذي يحقق لها روابط اجتماعية قوية.

في الوقت نفسه، تجد حالات الدراسة النموذج المسيطر في المجتمع الجزائري وهو "مكانة المهاجرة" كمكانة مرموقة، وخاصة عند نجاحها، فتصبح من رواد التجارب الناجحة ومثالاً حياً لبعض الشابات. فتستخدم حالات الدراسة هذه الصورة الإيجابية كاستراتيجية لإعادة تشكيل الرابط الاجتماعي ككل سواء عائلي أو قرابي أو حتى جيري، مع محاولة استرجاع المكانة الاجتماعية المقبولة التي يجب أن تكون مغايرة تماماً عن مكانتها السابقة المتدنية في مجتمعها الأصل، ونحن نعتبر هذا الرابط الاجتماعي يقوم على المصلحة الخاصة أكثر مما يقوم على القرابة أو العاطفة والمحبة، وبالتالي هو قائم على المصلحة المشتركة التي تعود على الفاعلة وأسرتها والمجتمع ككل.

قائمة المراجع

➤ باللغة العربية

- 1- أبو صلح، عدنان، معجم علم الاجتماع، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2006.
- 2- رمضان محمد، الهجرة السرية في المجتمع الجزائري، أبعادها وعلامتها بالاعتزاز الاجتماعي، مجلة المواقف، للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 04، جامعة معسكر، الجزائر، ديسمبر 2009.
- 3- غريالي، فؤاد، سوسيولوجيا المعاناة من خلال المعاش اليومي لشباب الأحياء الشعبية، مجلة عمران، العلوم الاجتماعية والإنسانية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد : 16، المجلد: 04، لبنان، ربيع 2016.
- 4- كراوية، أمينة، طبيعة الرابطة الاجتماعية في المجتمع الحضري- دراسة سوسيولوجية لرابطة القرابة بالسانية ولاية وهران، رسالة لنيل الدكتوراه علوم في علم الاجتماع، جامعة محمد بن أحمد - وهران 2، الجزائر، 2017.

5-كيم، صبيحة، ثقافة الهجرة السرية في المجتمع الجزائري : بين استحواد الشباب وإقحام الشباب، مجلة الحوار الثقافي، العدد: 9، جامعة عبد الحميد ابن باديس، مستغانم، الجزائر، ربيع وصيف 2016.

➤ باللغة الفرنسية

- 1-Arab, Chadia, Les Aït Ayad : la circulation migratoire des Marocains entre la France, l'Espagne et l'Italie, Rennes, Presses Universitaires de Rennes, Paris, 2009.
- 2-Arab, Chadia, Emergence de circulations migratoires féminines des marocaines vers de nouvelles destinations – l'Espagne et les émirats arabes unis, **Revue NAQD**, Femmes en migration : travail, bizness, exil, asile, n° 28, Algérie, automne-hiver 2010.
- 3-Bidart, Claire, **L'amitié Un lien social**, La Découverte, Paris, 1997.
- 4-Carnet, Pauline, Passer et quitter la frontière, Les migrants africains « clandestins » à la frontière sud Espagnole, Thèse de doctorat, D'Anthropologie sociale, l'Université de Toulouse Le Mirail, France, Septembre 2011.
- 5-Charef, Mohammed, **La circulation migratoire marocaine, un pont entre deux rives**, édition Sud Contact, paris, 1999.
- 6-Dolores, Julian, Les nouveaux modèles de la recherche et de la migration des femmes, **Journal d'Anthropologie Sociale**, Numéro spécial, 1999.
- 7-Forget, Bernard, **Los clandestinos mode d'emploi**, Cahiers migrations 31, Edition ACADEMIA, Paris, 2004.
- 8-Guillemant, Françoise, Stratégies des femmes en migration : pratiques et pensées minoritaires repenser les marges au centre, Thèse de Doctorat, Sociologie et Sciences Sociales, Université de Toulouse II, 2007.
- 9-Lydie, Virginie, **Traversée interdite, les Harragas face à l'Europe forteresse**, L'Edition le Passager Clandestin, Paris, 2011.
- 10-Mendoza, Myrian Carbajal, Actrices de l'ombre, La réappropriation identitaire des femmes latino américaines sans papiers, Thèse de doctorat, Faculté des Lettres, l'Université de Fribourg, Suisse, 2004.
- 11-Paugam, Serge, **Le lien social**, Paris, PUF, coll. Que sais-je ? , 2008.
- 12-Mirjana Morokvasic, L'immigration féminine en France : état de la question, **Année Sociologique**, Presses Universitaires de France, XXVI, 1976, pp.563-575.
- 13-Sakho, Papa, Binetou, Dial Fatou, Migration clandestine féminine, étude de cas de Dakar et sa banlieue, n° 56, **CARIM**, 2010, p : 17. Date de consultation : 03/03/2018, à 16h.
http://cadmus.eui.eu/bitstream/handle/1814/14629/CARIM_ASN_2010_56.pdf?sequence=1
- 14-Sayad, Abdelmalek, **L'immigration ou les paradoxes de l'altérité-l'illusion du provisoire**, édition raisons d'agir, Paris, 2014.
- 15- Simmel Georg, **Sociologie, études sur les formes de la socialisation**, Paris, Puf, coll, 1999, p : 414.